من هو مؤلف المذكرات التاريخية ؟

« هو عبد الله نوفل الطرابلسي »

عثرت على كتب كثيرة لم يذكر مؤلفوها اسماءهم فيها إما لاغراض سياسية منعتهم فأحجموا إحجام المتحذر الخائف من طائلة القصاص ولاسيما اذا كانوا قد تعرضوا لذكر مظالم الولاة ووصف سوء ادارتهم خاصة في الامور الاخيرة . وإما لانهم ارادوا التكتم لاسباب أخرى . واما ان بعض النساخ او الحاسدين أرادوا إخفاء اسمائهم غمطاً لعملهم او انتحالاً لكتبهم الى غير ذلك من الاغراض المتلونة التي نزلت بكثير من المؤلفات فأفقدتها اسماء واضعيها وأصبحت غفلاً منهم يتكهن المطالعون في اظهار مصنفيها .

ولقد بحثت مراراً في كثير منها حتى أعدتها الى نصابها ورجحت اسماء مؤلفيها باستقراآت واستنتاجات مهمة ذكرتها بمقالة في مجلة الكلية الغراء (منذ سنتين) ونشرت الآن (المذكرات التاريخية) في حوادث دمشق في اوائل القرن الماضي وما حدث فيها من الفتوق والمحن والحروب والنكبات ولا سيما حوادث الدولة المصرية من سنة ١٨٣١ — ١٨٤٠ م .

ولقد جرت مناظرة أدبية بيني وبين ناشر هذه المذكرات الصديق الباحث الخوري قسطنطين الباشا بشأن مؤلفها الذي وقفت على ترجمته المطولة واخبار أسرته المهمة التي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نشأ منهـا مؤلفون وكتاب في الحكومات المصرية والسورية وأدباء عرفوا في خدمة النهضة العربية . وكنت أبحث عن تاريخه الذي عرفت انه الفه وذلك لما كنت مدرساً في مدرسة كنت بين بقرب مسقط رأسه طرابلس الشام المعروفة بادبائهـا من الطائفتين الاسلامية والمسيحية ، وهذه حكاية مؤلف الكتاب التي اتفق لي ان عرفتهـا وبقيت متابعاً اياها الى ان ظهر الكتاب فجاءت الادلة على صحتها من الكتاب نفسه مزكية ما ظننته والى قراء المجلة الكرام ابسط كلمتي :

كان في دمشق في اوائل القرن الماضي وما قبله أسرة اسرائيلية اندلسية الاصل جاءت الاناضول على اثر حوادث التفتيش سنة ١٤٩٢ م وانتقل قسم منها الى دمشق يعرف (بآل فارحي) وكان كثير منهم كتاب الحكومات في عكا والشام وخزان الاموال وبعضهم في الاستانة يرفدون اخوانهم هنا بمعاضدتهم فارتفع شأنهم ونبغ منهم اخوان هما حاييم بن شحاده فارحي وروفائيل ، فحاييم كان مديراً لخزينة احمد باشـا الجزار وخلفه سليمان باشا واشتهر بدهائه وحصافة عقله وذكائه حتى مدحه شعراء عصره مثل نقولا الترك وبطرس كرامه وغيرهما ومات بلا عقب وشقيقه روفائيـل كان صرافاً لخزينة دمشق واتصل بالحكومة المصرية في الشام ولم يكن بأقل نفوذاً من اخيه ، ومن اولاده داود الذي خدم الحكومة وانتقل بعضهم الى مصر .

وكان لهم ابن عم اسمه حزقيال كان في دوائر المالية بالاستانة يدافع عنهم ويقوي نفوذهم وابن عم آخر اسمه سلمون فكانت شؤون الحكومة المالية ودواوينها بيدهم مدة طويلة وكان بنو البحري من حمص كتاباً في دواوين دمشق فتحامل عليهم آل الفارحي وزاحموهم بوظيفتهم فكانوا يتراوحون بين التنصيب والعزل وكان بنو صروف المسيحيون الحمويو الاصل الدمشقيو المولد والوطن كتّاباً للحكومة في دمشق ولاسيما جرجس وولداه مخائيل ويوسف . وكان آل فارحي يبغضون الكتاب المسلمين والمسيحيين الذين يتقربون من الحكومة ويشون بهم للولاة لابعادهم واحتكار دواوينهـا لهم . ولقد ذكر بعض المؤرخين استفحال العداوة بين بعض آل البحري كتاب حكومة دمشق وآل فارحي مزاحميهم ولا سيما ابراهيم العورا في تاريخ سليمان باشا المخطوط في خزانتي وما كان بين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المعلمين عبود البحري الحمصي واخيه جرمانوس وحابيم شحاده فارحي الدمشقي واخيه من قصة طويلة .

وفي سنة ١٨٢١ مسيحية كان ابوسليم عبد الله بن جرجس نوفل الطرابلسي (عم نوفل نوفل المؤلف المشهور) كاتباً في دواوين دمشق وبقي الى سنة ١٨٤١ حين خروج الدولة المصرية في سورية . وهذا الرجل هو رابع اخوته ممن اشتهروا بالكتابة للحكومة في عكا وطرابلس ودمشق في ذلك العهد .

وآل نوفل أسرة عربية حورانية قديمة عرفت باسم النحو والترجمان واشتهرت باسم احد ابنائها المسمى نوفل المتطبب وقد ورد ذكره في مخطوطات كثيرة في القرن السابع عشر للميلاد ورأيت خط حفيده موسى الجميل في كتب كثيرة اخذت مثالاً منه بالتصوير الشمسي فكانت الكتابة موروثة فيهم والانشاء طبيعياً وخدمة الحكومة مهنتهم زمناً مديداً .

وابو سليم هذا هو الذي اشتهر ابنه سليم دي نوفل في بطرسبرج بمؤلفاته ومقامه السامي بين علمائها وتدريسه العربية في كلياتها .

كان ابو سليم يكتب باللغة البسيطة لانه اصغر اخوته فلم يتسنَّ له (وقد فجع بقتل اثنين منهم بوشاية بعض خصومهم) ان يتقن الانشاء مثلهم وهما اكبرهم نصرالله وثانيه نعمة الله والد نوفل المؤلف المشهور . فنشأ أسلوب كتابته عامياً .

وكانت مناظرة في طرابلس الشام بين آل الغريب الأسرة المعروفة فيها من المسيحيين وبين آل نوفل للتزاحم على الكتابة في الدواوين وكان مصطفى اغا بربر حاكمها قد قرب آل الغريب وأبعد آل نوفل .

فذهب ابو سليم عبد الله (مؤلف المذكرات) الى دمشق وتديرها وكتب لحكامها وتربت أسرته فيها وتزوج منها بعد موت زوجته الثانية ورزق اولاداً تربوا في دمشق وهجروا موطن ابيهم طرابلس لاسباب سياسية .

وكان عبدالله حصيف العقل ذكياً حسن الادارة والسياسة فنال منزلة لدى حكام دمشق في المدة المشار اليها ولم يستطع بنو فارحي ان يقووا عليه لكنهم عزلوه مرة فعاد بعد قليل الى منصبه وزاحمه يوسف عبروط من طائفة الروم الكاثوليك وكبير كتاب محمد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

علي باشا في مصر ولم يثبت في دمشق اكثر من اسبوع وعاد القلم الى نوفل بمعاضدة يوسف زرديل اليهودي صديق أسرته في مصر . وعدو آل فارحي .

فكان نوفل هذا بين خصوم يجب ان يتحذر منهم فكتب حوادث دمشق بكل يتحفظ في هذه (المذكرات) المنشورة حديثاً وحيثما ورد اسمه فيها ذكر نفسه باسم المعلم احياناً وترك بياضاً أمامه ليكتب متى زالت الموانع (انه مؤلف الكتاب) و يشرح بعض الشؤون . ولقب نفسه بالمعلم على عادة عصره ليخفي نفسه و يتنصل وكذلك نجده ذكر اسم ابن اخيه نوفل نعمة الله نوفل وولده (سليماً) المار اسمه قريباً وعين عمره وهذا ايهم غيره كما يهمه لانه ابنه (راجع الصفحات الـ١٤٨ و١٩٨ و٢٤١ و٢٤٤ و٢٤٦) ثم ذكر في الصفحة الـ٢٣٦ الكاتب الثاني تحت يده وهو موسى صدقه من وطنه طرابلس كان قد زباه وخطب له ابنته فتوفيت قبل تزويجها فخطب له ابنة ابراهيم الطنوس احد كتبة الحكومة الدمشقية في ذلك العهد من مشايخ مقعبرة في حصن الاكراد . والكتاب هو بلغة العامة و يظن حضرة ناشره انه بلهجة دمشقية لا طرابلسية مع ان الصديق المؤرخ جرجي افندي يني كتب اليّ انه رأى نحو تسعين كلمة فيه مما يستعمله الطرابلسيون اليوم وليس بعجيب ان يكون المؤلف كاتباً بلهجة دمشقية وهو قد بقي في تلك المدينة نحو ربع قرن او اكثر يشافه سكانها و يخدم حكومتها و يربي أسرته . وزوجته دمشقية ايضاً فضلاً عن ان اللهجات العامية لا يظهر اختلافها بالكتابة دائماً بل باللفظ .

وبعد البحث لم أجد غيره كتب مذكرات عن هذه الشؤون لان زوجة ابن اخيه نوفل وهي انجلينا الغريب اخبرتني منذ بضع وثلاثين سنة ان لعم زوجها هذا كتاباً في الحروب المصرية في سورية وكذلك نسيبه المرحوم نقولا بك نوفل اخبرني ذلك وعرفت ان الكتاب أحرقته خادمة ابن المؤلف المرحوم حبيب على اثر وفاته سنة ١٨٩٣ م و بالطبع أحرقت المسودة وبقيت المبيضة منسوخة بقلم بعض كتاب ديوانه ولعله موسى صدقه او من بني صروف الذين كتب له منهم جرجس ومخائيل صروف وقد جرى مثل هذا لزين الدين عمر بن سهلان الساوي مؤلف كتاب (البصائر النصيرية) في المنطق فانه أحرقت مسودته بعد وفاته حداداً عليه كما يذكر المؤرخون . ولكنني كنت في صباي اصلح تجاربه (بروفاته) ليطبع بالمطبعة العثمانية في بعبدا (لبنان) ولم يكمل من طبعه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

اكثر من ثلثه ولكن نشره بحواشٍ وضبط العلامة الشيخ محمد عبده المصري في مصر . فبقيت مبيضته التي طبع عنها الكتاب ولو أُحرقت مسودته .

ومؤلف (المذكرات) ولد في طرابلس الشام سنة ١٧٩٧ م وتوفي في خدمة داود باشا اول متصرفي لبنان سنة ١٨٦٦ م .

اما المذكرات فهي مفيدة في تفصيل الحوادث وقد خدمها بعض الخدمة حضرة ناشرها بحواشٍ قليلة وكان من الصواب ان يضع بعض تفاسير الكلمات بحواشٍ ليبقى المتن الاصلي متميزاً وهناك اشياء كثيرة تحتاج الى شرح وتفسير لانها بلغة صارت اليوم بعيدة عنا . ولعله يستدرك ذلك في طبعة ثانية ويخدم الكتاب خدمة كاملة .

ولم تخل المذكرات من أغلاط مطبعية وكلمات مصحفة او محرفة سيستدركها الناشر ايضاً وهو جدير بجزيل الشكر على نشر هذا الاثر النفيس وما فيه من تفصيل ما جرى في ذلك العهد . والله ولي التوفيق . زحلة : عضو المجمع العلمي

عيسى اسكندر المعلوف